السنة الرابعة والستون وثلاث مئة

[وفي المحرَّم قدم الحاج إلى بغداد وأميرهم أبو منصور محمد بن عمر بن يحيى العَلَوي، وأخبروا أنهم ما لحقوا الوقفة، وأنهم وقفوا بالمدينة.]

وفيها خرج سُبكتكين والطَّائع من بغداد في أول المحرَّم، فوصلا دَير العاقول يُريدان واسطاً لقتال عز الدولة، فمات المطيع يوم الاثنين لثمانٍ بقين من المحرم، وكان قد انْحَدر مع ابنه الطَّائع، فحُمل إلى بغداد في تابوت، ثم مات سبكتكين بعده بيوم واحد، فحمل في تابوت إلى بغداد، وكان هذا من أعجب الحوادث.

ولما مات سُبكتكين تماسك الأتراك، وعَقدوا الرئاسةَ لهفتكين[1] التركي مولى معز الدولة، وأمَّروه وأطاعوه، وكان أعور، وعَرض عليه الطَّائعُ اللَّقَبَ فامتنع منه، واقتصر على الكُنية، وأقرَّ أصحابَ سُبكتكين على ما كانوا عليه، وعمل على لقاءِ عزِّ الدولة.

وكان حَمدان قد عاد من الرَّحْبَة إلى بغداد بكتاب سُبكتكين، وبلغه اتِّفاقُ أبي تَغْلب مع عزِّ الدولة، فسار على مُقدِّمة سبكتكين، فالتقى مقدمةَ عز الدولة وفيها دبيس بن عَفيف الأَسدي فأوقع بهم، وكان فيها جماعةٌ من الدَّيْلَم، وكانت الوَقْعَةُ بين جَبُّل وفَمِ الصُّلح، فقتل وأسر منهم، وذلك في المحرَّم يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه.

فلما مات سُبكتكين كتب إليه هفتكين كتاباً يُعرِّفُه وفاتَه، وأنه قد صار موضعَه، ويستدعيه إليه ليتَّفِقا على ما يُدَبِّرانه، فاعتقد حَمدان عند ذلك الانحياز إلى عز الدولة، وأن الأتراك قد انحلَّ أمرُهم بوفاة سُبكتكين، فبعث بالكتاب إلى عزّ الدولة، وأخبره أنه صائر إلى هفتكين، واشترط عليه شروطاً، وكان عز الدولة قد عبر إلى الجانب الغربي من واسط، وأخلى الشَّرقي، وجمع السُّفن إليه، وأقام ينتظر عَضُد الدولة، وكان عضد الدولة قد خرج من شِيراز.

ولما ورد على عز الدولة كتابُ حَمدان استبشر، وهمَّ بالإصعاد إلى بغداد، وظنَّ أن أمر الأتراك قد انحلّ، فلما عرف ثُبوتَه، وأن هفتكين قد قام مقام سبكتكين؛ راسل هفتكين مع الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي بما يؤنسه، ودعاه إلى طاعته،

(١) في (ب): للفتكين، حيثما ورد، والمثبت من (خ)، وكلاهما صحيح، انظر السير ١٦/ ٣٠٧.

وكانت الوَحْشَةُ قد تمكَّنتْ فلم تُغْنِ الرّسالةُ شيئاً، فقال حمدان لهفتكين: أنا أكون في مقدّمتك، فقال: افعل، فعبر من الجانب الشرقي إلى الغربي، ومعه ابنه وغلمانه وأسبابُه، فاستأمن إلى عزّ الدولة، فتلقَّاه، وأكرمه، وحمل إليه مالاً ودواباً وثياباً.

وبلغ ذلك الأتراك، فضَعُفَت قلوبُهم، وتوقَّفوا عن المسير أياماً، ثم عَزموا عليه، ورجعوا، ونزلوا قريباً من فَرْسَخ عن واسط، وعَقدوا جِسراً من السُّفن التي كانت معهم، ولهم زَبازِب كثيرة فيها المقاتلة، وحَصَل في أيديهم الجانب الشرقي بأسره، وكانوا يَعبرون على الجسر فيُقاتلون الدَّيْلَم، فأقاموا كذلك خمسين يوماً، وركب يوماً حَمدان يقاتل الأتراك، فعرفوه، فأكبُّوا عليه بالدَّبابيس حتى أثْخَنوه، وأخذوه أسيراً، ووقع في وَرِكه دَبُّوسٌ فعرج منه إلى آخر عمره، وحملوه إلى الهفتكين، وأشرف الدَّيلَم على الهزيمة مرات، وكانت الأيام كلُّها للأتراك.

واشتدَّ الحِصار على عزِّ الدولة، وضاقت عليه المِيْرَة، واستولى الأتراك على واسِط من الجانبين، وتواترت كتب عز الدولة إلى أبي تَغْلِب بالقدوم عليه، وإلى عَضُد الدولة بالإسراع إليه.

فأما أبو تَغْلب فبعث أخاه أبا عبد الله الحسين في طائفةٍ من الجيش، فنزل تَكْريت، فأقام ينتظر ما تَنكشف الحربُ عنه، وانْحَدر بنفسه وبجميع جيشه إلى مدينة السَّلام، وأما عضد الدولة فقدم بغداد بعد هذا، وسنذكر قُدومَه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها في المحرَّم تُوفّي أبو منصور إسحاق بن المتقي لله عن إحدى وخمسين سنة، وكان ممن تَرشَّح للخلافة، ودُفن بداره في دار ابن طاهر.

وفي المحرَّم توفّي أبو دُلَف كيخسرو بن عضد الدولة بشيراز[1].

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم أوقع العَيَّارون ببغداد حريقاً من الخَشَّابين إلى دَرْب الشَّعير، فاحترق شيءٌ كثير، ونهب العَيَّارون مالاً عظيماً، وغلبوا على الأمور وتَلَقَّبوا بالقوَّاد، فأخذوا الخفائر عن الأسواق والدُّروب، ونُهب الناسُ في الجوامعُ يوم الجمعة من الجانبين.

---

(١) من قوله: ولما مات سبكتكين تماسك الأتراك... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وكان في جُملة العَيَّارين[١] رجلٌ أسود يعرف بأسود الزُّبْد لأنه كان يأوي إلى قَنْطَرة الزُّبْد، ويَستطعم الناس وهو عريان ليس عليه ما يُواريه، فلمّا رأى مَن هو أضعفُ منه قد أخذ السيفَ ونَهب أخذ هو سيفاً، وانضاف إليه جماعة، فأخذ الأموال، واشترى جاريةً بألف دينار، فأرادها على نفسها فمنَعتْه، فقال: لِمَ تمنعيني؟ فقالت: أكرهُك، فقال: ما تكرهين مني؟ فقالت: كُلّك، قال: فما تُحبّين؟ قالت: تَبيعُني، قال: أو أفعل خيراً من ذلك؟ فحملها إلى القاضي، وأعتقها، ووَهَب لها ألفَ دينار، فعجب الناس من مُروءته حيث لم يُجازِها على كراهيتها له إلا بالإحسان.

وفيها سار عَضُد الدولة من فارس، فنزل أرَّجان في غُرَّةِ ربيعٍ الأول، ووافتْه العساكر من الرَّيِّ والأهواز، وسار يَطلب العراق.

وفي ربيع الأول ورد أبو تغلب إلى بغداد، ونزل بدُرْتا في الخيم، فماج الناس ببغداد، وتحرَّك العيَّارون، وظهر من كان مُسْتَتراً من أصحاب عز الدولة، وقتل أبو تَغْلِب جماعةً من العَيَّارين، وأنفذ أخاه إبراهيم إلى النجمي[٢] فأنزله به، وسيَّر أبا السرايا بن سعيد بن حَمدان إلى واسط مَدَداً لعزِّ الدولة، وعَقَد الجِسر بقطيعة أمّ جعفر، وعبر بنفسه إلى الجانب الشرقي فاخترقه، وعاد إلى عسكره، وقبض على أصحاب الأتراك، وتتبَّع أسبابهم[٣]، وأدخل يده في أموالهم.

ولما بلغ ذلك الأتراك ساروا بأجمعهم مع الطائع لله إلى بغداد، فوَرَد أوائلهم يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر، ومعهم جمعٌ كثيرٌ من العامَّة والعَيَّارِين، وصاروا إلى قصر فرح بإزاء معسكر أبي تَغْلب، وهَتفوا به، وشتموه أقبحَ شَتْم.

ودخل الطَّائعُ والأتراك بغداد من الغد، ورحل أبو تغلب إلى الجَلْحاء، وخَلَّى عن الجانب الغربي، واستتر مَن كان ظَهرَ من أصحاب عزّ الدولة، وملك الأتراك الجانبين، وعسكروا بباب الشَّمَّاسِيَّة، ونزل الخليفة في داره، وخلع هفتكين على حَمدان، وجَدَّد الأيمان معه.

---

(١) في (ف م م١): وقال الخطيب كان في جملة العيارين، ولم أقف على الخبر في تاريخه، وذكره الهمداني في تكملة الطبري ٤٣٥، وابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٢٣٥ .

(٢) كذا، ولم أتبينها، ولم أقف على الخبر بتفصيلاته هذه.

(٣) في (خ): آثارهم.

ووصلت الأخبار بوصول عضد الدولة إلى واسِط، وانفصاله عنها إلى بغداد، فأحضر الطَّائعُ القُضاةَ والأشرافَ والقوَّادَ مُستهلّ جُمادى الأولى، وأخذ الأيمانَ على الأتراك بالطَّاعة، والمُناصحة في العِيال، وركب من غدٍ إلى باب الشَّمَّاسِيَّة، واستنفر الناسَ لقتال عضد الدولة، وعاد إلى داره.

ذكر حال عضد الدولة مع الأتراك حتى هزمهم:

كان عز الدولة لما مات سُبكتكين كتب إلى ركن الدولة بإيثاره بالمدد من العَسْكر، وأن لا يُقوِّي عَزْمَ عضد الدولة على المسير بنفسه إلى بغداد، وقناعته بالمَدَد الذي يُنفذه إليه مع بعض أصحابه، وكاتب عضدَ الدولة بمثل ذلك؛ لأن خواصَّه أشاروا عليه: لا يدع عضد الدولة يدخل مملكتَه، ويشاهد نِعمتَه، فأجابه ركن الدولة بأن الخَطْب الذي هو بإزائه مع بقاء الأتراك على حالهم مُحتاجٌ إلى مِثْلِ عَضُدِ الدولة في كثرة ماله ورجاله، وقيام هَيبته، وحُسْنِ تدبيره، وأجابه عضد الدولة بأن المَدَد فيما يُراد له لا يفيد حتى يتولَّى ذلك بنفسه، وكان غرضُ عضد الدولة ما أنف أصحابُ عزِّ الدولة منه[1].

وسار حتى نزل الأهواز، وتَلَوَّم تلوُّماً طويلاً حتى دخل واسطاً تاسع عشر ربيع الآخر، ولما حصل بالأهواز وانحدر أبو تغلب إلى بغداد تماسك أمر عزّ الدولة، وأمَّلَه مَن كان آيساً منه، واستأمنت إليه طائفةٌ من الأتراك قَويت بهم نفسُه.

ولما قَرب عضد الدولة من واسِط تلقَّاه عزُّ الدولة وأخواه أبو إسحاق ومحمد وأبو طاهر بن بقية، فترَجَّلوا، وقَبَّلوا الأرض بين يديه، ما عدا عِزُّ الدولة فإنه لم يترجَّل، وأكبَّ عليه عَضُد الدولة وعانقه، وكان رُكن الدولة قد كتب إلى عزِّ الدولة يُوصيه بتعظيمِ عَضُد الدَّولة وخدمته.

ونزل عضد الدولة بالجانب الشرقي من واسط ومعه أبو الفتح علي بن محمد بن العَميد ـ وكان قد قَدِم عليه بعسكر الرَّيّ ـ ورتَّبَ المسيرَ إلى بغداد على أن يكون عزُّ الدولة في الجانب الغربي، وهو في الجانب الشرقي، ورحل حتى نزل ديرَ العاقول وعز

(١) في (خ ب): وكان غرض عز الدولة ما أنفق أصحاب عز الدولة منه، وليس في (ف م م١) لاختصار طويل يشار إليه في موضعه، ولعل المثبت هو الصحيح، انظر الكامل ٨/ ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٨.

الدولة بإزائه، وورد عليه تأهُّبُ الطَّائعِ والأتراكِ للقائه، فَعبَّأ عَسْكَرَه، وجعلَ موكبَ خاصَّته في القَلْب، وفي مَيمنته أبا الفتح بن العَميد في جيش الريّ، وفي ميسرته عُمدة الدولة وأبا إسحاق وابن بقية مع طائفة من عسكر عز الدولة، ونزل بإزاء المَدائن.

وكان انحدار الطائع والأتراك ليلة السبت لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى، ووصلوا إلى دَيالى، والتَقَوْا على أرضٍ مُستوِيةٍ قريبة من ديالى، وكانوا قد عَقدوا عليه جُسوراً، واقتتلوا فكانت الدَّبْرَةُ أولاً على عَسْكَرِ عَضُد الدولة من ناحية المَيْسرة، وكان فيها عسكر عز الدولة، فاستَجَرَّهم الأتراك، وقتلوا منهم جماعة نحو المئتين، وزحف عليهم عضد الدولة فانهزموا، وقتل من أكابرهم عِدَّة، وجاؤوا إلى جسور دَيالى فازدحموا عليها، وغَرِقَ منهم خلقٌ كثير، وركبهم الدَّيْلَم، وكان معهم من العَيَّارِين خلقٌ كثير، فأفناهم الدَّيْلَمُ بالقَتْلِ والغَرَق، واستباحوا عَسكرَهم، وأحرقوا خيامَهم، وجاءهم الليلُ فحال بينهم، وكان عز الدولة في الجانب الغربي فكتب إلى عَضُد الدولة بخطِّ يده:

ولكنَّ الجوادَ أبا شُجاعٍ ... وفِيُّ العَهْدِ مأمونُ المَغيبِ
بَطيءٌ عنك ما استغنيتَ عنه ... وطَلَّاعٌ عليكَ مع الخُطوبِ[1]

ودخل التُّرك بغداد مُقَطَّعين، ومضى الطائع إلى عُكْبَرا، وأصبح الأتراك فأخذوا معهم مَن أمكن أخذه من عيالاتهم وأولادهم، وتَبِعَهم العددُ الكثير ممن يَخاف من المقام بعدهم، وساروا نحو الشام.

وسار عَضُد الدولة من الجانب الشَّرقي، وعزُّ الدولة من الجانب الغربي، ودخل ابن بَقيَّةَ بغداد، ونادى في الناس فسكنوا، ونزل عضد الدولة بباب الشمَّاسيّة وعز الدولة بإزائه من الجانب الغربي، وأظهروا أنهم يتَّبعون الأتراك، فلما وصل الخبر أنهم وصلوا تكريت مُمزَّقين مَسْلوبين دخل عضد الدولة إلى دار سبكتكين فنزلها، وعز الدولة في دار المتّقي لله.

---

(١) نسبا إلى إبراهيم بن العباس الصولي في ديوانه ١٢٩ (الطرائف الأدبية)، ومعاني العسكري ٢/ ١٩٥، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٤٧، وفيها: ولكن الجواد أبا هشام.

وكان الطائع قد راسَلَ عَضُد الدولة لما كان بدير العاقول، فأجابَه إلى ما يُريد، وبعث إليه من عُكْبرا القاضي ابن مَعْروف، فحَلَّفه، واستَوْثَق منه.

ثم أقبل الطائع في طَيَّارِه يوم الخميس لتسعٍ خَلَوْن من الشهر، وخرج عَضُد الدّولة في طياره،فتلقَّاه من قَطيعة أم جعفر، وصَعِد معه، وقَبَّل البِساط الذي تحته ويدَه، وطُرِحَ له كُرسي فجلس عليه بين يديه، وكان على عضد الدولة قَباء أسود، وعِمامة سوداء، وسيف ومِنطَقة ذهب، وأحدقت الطَيَّارات والزَّبازِبُ بطيَّار الخليفة مملوءةً من الدَّيْلَم وغيرهم، وانحدر كذلك إلى دار الخلافة، وبعث إليه عضد الدولة بمالٍ وفُرُش وطيب، وخطب له يوم الجمعة لعشرٍ بقينَ من جُمادى الأولى، وإلى هذه الغاية لم يُخْطَب في هذه المدة لأحد.

وأمر الطَّائعُ بأن يُكتَب إلى الآفاق بعَوْدِه إلى داره، واستقامةِ الأمور والأحوال، فكتب أبو إسحاق إبراهيم بن الصابئ كتاباً بليغاً في ذلك.

ذكر ماجرى لعز الدولة مع عضد الدولة:

لما استقرَّ عَضُد الدولة ببغداد، وانهزم الأتراك، اجتمع أصحابُ عزِّ الدولة من الدَّيْلَم والتُّرك، وشَغَبوا عليه بالزَّاهِر، وطالبوه بالعطاء، واشتَطُّوا عليه، فغضب، وتبرَّأ منهم، وقال لعضد الدولة: تولَّ أمورهم. ووجد عضد الدولة ذلك طريقاً إلى ما نازعتْه نفسُه إليه.

وقيل: لما رأى عضد الدولة مُلْكَ العراق أعجبه، وحَسَد عزَّ الدولة، فوضع الدَّيْلَم فشغبوا عليه، فأرسل إليه عضد الدولة في المصير إليه؛ ليَجتمعا على ما فيه المصلحة من تدبير الأمور، فجاء عز الدولة إليه ومعه أخواه عمدة الدولة وأبو طاهر، فلما صاروا عنده اعتقلهم، ووكَّل بهم، وذلك في يوم الجمعة لخمس بقينَ من جُمادى الآخرة، ولم يَعرِض لابن بَقيَّة، ووعده بالجميل، وأنه يَستخدمه ويُجريه على رسمه ومنزلته، وأمره أن يَمضي إلى دار عز الدولة، وبعث معه جماعةً من الدَّيْلَم والحاشية، فختم على أمواله وخزائنه، ووَكَّل بإصطبلاته، ومضى إلى داره.

وقبض عَضُد الدولة على خَواصِّ عز الدولة، فلما كان من الغد جمع عضد الدولة القُضاةَ والشُّهودَ والأشرافَ والعلماء، وقرأ عليهم كتاباً مَضمونُه: أن عزَّ الدولة استَثْقَل

النَّظَرَ في الأمر فاعتزله، واستعفى منه، وسأل توفيره على ما هو أرْوَحُ له منه، فأُجيب إلى ذلك، وأن للخاصَّة والعامَّة عندنا كلَّ ما يَسُرُّ من حُسنِ السِّيرةِ والحِراسَةِ والصِّيانةِ والعَدْلِ وإزالةِ الظُّلْمِ والإحسان، وأخَذ جماعةً من العَيَّارين فقتلَهم وصَلَبهم في عدَّةِ مواضع، وهرب المفسدون.

ثم كتب عَضُد الدولة إلى أبيه في معنى عزِّ الدَّولة، وكتب عن الطَّائع كتاباً في هذا المعنى، وبعث بالكتابَين مع أبي الفتح ابن العَميد على الجَمَّازات[1]، فمن كتاب الطَّائع: قد عرفتَ أطال الله بقاءك ما انعقَدتْ به البيعةُ لأمير المؤمنين في أيام المطيع لله رحمة الله عليه، وما اكتنَفَه في تلك الحال من غَواشي فَسادِ جِهاتٍ، فأصبح أميرُ المؤمنين بينها مُشْتَرَكَ[2] الرَّأي، مَغلوباً على الاختيار، حتى استَنْقَذه الله بنَجْلِك الكريم، وسَليلك النَّجيبِ عَضُدِ الدولة، أدام الله به الإمتاعَ، فأخلَصَ في نُصْرةِ أمير المؤمنين نِيَّتَه، وأرْهَف ليُثبِتَ أمرَه عَزيمتَه، وتَحَمَّل باستطاعته طاعتَه ... إلى أن قال: ورأيُ أمير المؤمنين في عَضُد الدولة أن يُقيمَ بقُربِه، ولا يتغيَّر من دار السَّلام... وذكر فصولاً في هذا المعنى.

وأما كتاب عضد الدولة فمَضْمونُه: إن الأمورَ كانت قد اضطَرَبَتْ، وهَذَّبْتُ مَملكةَ العراق، وخاطَرْتُ بنفسي ومالي وجُندي، ورَدَدْتُ الخليفةَ إلى داره، وإن بختيار لا يُحسِنُ أن يُقيمَ دولةً، ومتى خرجتُ عن العراق اضطَرَبَت الممالك.

ثم إن عضد الدولة ساس الأمورَ، وبعث بالشَّريف أبي أحمد الموسَوي إلى أبي تَغْلب بإسقاطِ ما عليه من مال، وبعث كذلك إلى عمران بن شاهين وغيرهما.

وفيها قَدِمت أمُّ عزِّ الدولة من واسِط ومعها أولادُه وحُرَمُه، فخَيَّرها عَضُدُ الدولة بين أن يَجمع بينها وبين ولدها أو المُقام في دارها، فاختارت المقام عندهم، فأقامت، ونزل الحرم والأولاد في الدار الغربية، وأقام لهم الوظائف والرَّواتب.

---

(١) مراكب سريعة تتخذها الناس في المدن، شبه العجلة التي تجرها الخيل. المعجم الوسيط.

(٢) في (ب): مستنزل.

ذكر قصة الأتراك:

ساروا من بغداد إلى عُكْبَرا وسامُرّاء وتكْريت، وتَفَرَّق بعضُهم، ولم يبق مع الهَفْتَكين سوى ثلاث مئة غُلام، فسار إلى الشَّام، وأقام بحمص أياماً، ثم سار إلى دمشق والعَيَّارون قد مَلَكوها، فنزل بظاهرها، وخرج إليه أشرافُها وشيوخُها، وخدموه، وأظهروا السُّرورَ به، وسألوه المقامَ عندهم، ودَفعَ أذى العَيَّارِين عنهم، فأجابهم إلى ذلك، وتَوثَّق منهم بالأيمان والعُهود، ودخلها فأحسن السّيرة، وقَمَعَ أهلَ الفساد، وقامت له الهَيْبَةُ في قلوبهم، فأحَبُّوه، وأطاعته العرب المتغلِّبون على ضواحي دمشق، وكتب إلى المعزِّ بالطاعة، فاستدعاه إلى حَضْرَتِه ليُحْسِنَ إليه ويَرُدَّه إلى دمشق، فخاف منه، فتعَلَّل عليه، ومات المُعزُّ، وقام ابنُه العزيز، فجَهَّز إليه جيشاً مع القائد جَوْهَر، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقيل: إنه كان بدمشق قائدٌ من قُوَّاد المصريين يقال له: رَيَّان قد آذى أهلَها، فأخرجوه، ووَلَّوا الهفتكين ـ وهو الأصحّ ـ فدخلها في شعبان، وأقام الدَّعوةَ للمُطيع.

وخرج ابن الشَّمْشَقيق[1] الرُّومي في هذه السنة إلى الثُّغور، فمَلَكها، واستولى على أكثرها، فدَعَتِ الضَّرورةُ أبا بكر ابن الزَّيَّات صاحبَ طَرَسوس إلى مُصالَحتِه، فصالحه، وخرج إليه في عِدَّةٍ من أهل طَرَسوس، فأحسَنَ إليهم وأمَّنَهم، وسار إلى حمص وافتتحها، وقصد بَعْلَبك فافتتحها، فكتب ابن الزيات إلى الهَفْتَكين وأهلِ دمشق يقول: لا طاقةَ لكم بصاحب الروم، والمصلحة أن تَدخلوا في طاعته، وتُقَرِّروا عليكم مالاً.

فأجابه الهفتكين، ورَدَّ الأمرَ إليه فيما يفعلُه، فدخلَ ابنُ الزيَّات على ابن الشمشقيق وحادثه، فأعطاهم الأمانَ على نفوسهم وأموالهم، وأن يؤدُّوا إليه في كل سنةٍ ثلاث مئة ألف درهم.

فكتب ابنُ الزيَّات إلى الهفتكين وشيوخ دمشق بأن يَخرجوا للقائه، فتلقَّوه من الزَّبَداني في أحسَنِ زِيّ، فأقبل عليه، وقَرَّبه، وأكرَمَه، وخاطب الدِّمشقيين بأحسنِ خِطاب، وأكرَمهم.

---

(١) في (خ ب): السمسق، والمثبت من تكملة الطبري ٤٤٤، وتاريخ دمشق لابن القلانسي ٢٢، وكنز الدرر ١٦٩/٦.

ولما رأى دمشقَ أعجبته، فأمر أصحابَه ألا يتَعرَّضوا لها، وأقام أياماً بظاهرها والهفتكين يخرج إليه كلَّ يوم، ويُسايره، ويَلعَبُ بين يديه بآلة الحرب، فقال ابن الشمشقيق لابن الزَّيَّات: مارأيتُ أحسنَ من هذا الغلام، وقد أعجَبَني وأحببْتُه، وكان يركب في المماليك في الزّيّ الإسلامي، ويتطاعنون بين يديه، ويَرْمون بالنُّشَّاب، فعرَّفَ ابنُ الزَّيَّات الهفتكين قولَ الروميّ، فتَرجَّل وقَبَّلَ الأرضَ بين يديه، فقال الرومي لابن الزيات: عَرِّفْه أنني قد وَهَبْتُ له الخَراجَ، فترجَّل ثانياً وقبَّلَ الأرضَ بين يديه.

ثم إن الهفتكين بعث إليه بالفرس الذي كان تحته والسلاح ـ وكان قد طلَبه من ابن الزيَّات ـ وبعث معه عشرين فَرَساً بتَجافيفها[1]، وعِدَّةً ورِماحاً، وشيئاً كثيراً من أصناف الثِّياب والطِّيب والطُّرَف، فردَّ الجميع، وأخذ الفَرَس والسِّلاح، وبعث له مُكافأةً على الهديَّة أثوابَ دِيباج كثيرة، وبغلات وغيرها، وسار إلى السَّاحل، ووَدَّعه الهفتكين ورجع إلى دمشق.

ونزل الروميُّ على صَيدا، فخرج إليه أبو الفتح بن الشَّيخ ـ وكان رجلاً جَليلَ القَدْر ـ ومعه شيوخ البلد، وطلبوا الأمان فأعطاهم، وقَرَّروا على نفوسهم مالاً، وأهْدَوا له هَدِيَّةً، فرحل عنهم على موادَعةٍ، ونزل على بيروت فقاتلوه، ففتحها عَنوةً، ونهبها وسبى أهلَها، وفعل بجُبيل كذلك، ثم نازل طرابلس فأقام عليها نيفاً وأربعين يوماً يُقاتل أهلَها ويقاتلونه، فبينا هو كذلك إذ دسَّ إليه بسيل وقسطنطين سُمّاً في شرابٍ فاعتَلَّ، ونزل على أنطاكية فقطع أشجارَها، ورحل عنها، واستخلف على حصارها بِطريقاً يقال له: البرجي، وسار إلى القُسْطَنْطينية فمات بها، وفتح البرجي أنطاكية.

ذكر ما جرى لابن بَقيَّة:

لما أقام عضد الدولة ببغداد ينتظر جواب أبيه استمالَ ابنَ بَقيَّة، وقَرَّبه، وجعله برسْم وزارة الأمير أحمد بن عضد الدولة، وخيَّره فيما يريد من الأعمال، فاختار واسِطاً وتكريت وأوانا، فأعطاه ذلك، وخلع عليه الخِلَع السُّلطانية، وحمله على فَرَسٍ بمركب ذهب، وأعطاه في كل سنة خمسَ مئة ألف درهم إقطاعاً، وضمَّ إليه جماعةً من الدَّيْلَم والقُوَّاد.

---

(١) التِّجْفاف: آلة للحرب يُلْبَسُه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب.

وانحدر، فلما صار بواسِط أظهر الخلاف على عضد الدولة، والإنكار لما جرى على عزِّ الدولة، وقَبَض على القُوَّاد الذين ضَمَّهم إليه ـ وذلك في شعبان ـ وكاتبَ عمران ابن شاهين وغيرَه، فأجابوه لما يريد.

وكان أبو كاليجار ابن عز الدولة بالبصرة، فكاتبه، وجعل في نفسه متى قصده عضد الدولة صار إلى البصرة، ثم لم ير أن يذهب إلى البصرة خوفاً من عامله، فعوَّل على قصد عمران بن شاهين متى دَهَمه أمر.

وتبيَّن لعضد الدولة فسادُ الرأي في ابن بقية، وتخلية سبيله، فراسله بأبي الفَضْل أحمد الشِّيرازي وأبي طاهر المقنعي الشاهد يقول: قد عرفتَ ما عاملناك به، وأسْدَينا الصَّنيعةَ إليك فيه، ولم يَتجدَّد بعد انحدارِك من حَضرتنا ما يُوحِشُك ويَحملُك على ما بدا منك، فإن كان بلغَك شيءٌ فعَرِّفْنا حتى نُبْطِلَه، ونُعطيك من الوَثيقةِ ما يَتكامل لك السُّكونُ به، وإن كنتَ تُريد زيادةً على ما أعطيناك زِدناك.

فلم يلتفت إلى رسالته، وكان جوابُه لعضد الدولة: وَقَفْتُ على الرسالة والأمان، فوَجدْتُ معانيهما مبنيَّةً على المَخْرَقَة[1] المستمِرَّة، والزَّخْرفَة المُستحيلة، ومازال الله يَلْطُفُ بي عند وقوعي في تلك الوَرْطة التي لا أرانا الله في مولانا عزِّ الدولة شِبْهَهَا، حتى تَخَلَّصْتُ منها خلاصَ المَظْلوم[2]، وأفلتُّ منها إفلاتَ المَكْلوم، وقد جَعلتُ دوني سيوفاً حِداداً، وسواعدَ سِداداً، وقد أعطيتَ قبلي أُناساً أماناً قولاً، وأسقطْتَهُ فعلاً، فلم تَفِ بشيءٍ منه، بل صَدَفْتَ عنه، فياليتَ شِعري أيَّ أمانٍ تُعطيني وقد حلفتَ أيماناً ونكثتَها، ومنها قصَّةُ مولانا عز الدولة: لما اطمأنَّ إليك انتهَزْتَ فُرْصَتَه، واستَلَبْتَ غُرَّتَه، وفرَّقْتَ بين ولده وبينه، واستَولَيْتَ على ممالكه وأَنْشَبْتَ مَخالِبَك فيها، والله يأخذُ الباغي، ويُهلِكُ الظَّالم، وكتب إليه: [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جَدُّه ... أضاعَ وقاسى أمرَه وهو مُدبِرُ
ولكنْ أخو الحَزْمِ الذي ليس نازِلا ... به الخَطْبُ إلا وهو للقَصْدِ مُبْصِرُ

(١) في (ب): المحزمة، وفي (خ): المحرفة، ولعل المثبت هو الصواب، ولم أقف على نص الرسالة.
(٢) أورد الهمداني في تكملة تاريخ الطبري ٤٤٠ نص الرسالة من هذا الموضع.

وكتب أيضا إلى عضد الدولة في جواب كتاب أُعيد عليه فيه بإطلاقه واستخدامه إياه: [من الوافر]

وما بُقْيا عليَّ تَرَكْتُماني ولكن خِفْتُما صَرَدَ النِّبَالِ

فانظروا إلى هذا الجاهل الأحمق الذي أوقعه لسانُه فيما أوقعه؛ فإن عَضُدَ الدولة تمكَّن منه بعد ذلك، فقَتَله أقْبَحَ قِتْلَة، ومَثَّل به شَرَّ مُثْلَة.

وعاد ابنُ بقية إلى بغداد، وزادت منزلتُه عند عز الدولة أضعافَ ما كانت.

وكان عضد الدولة قد عَوَّل على إنفاذ عَسْكَرٍ في الماء إلى أبي كاليجار ليأخُذَ البَصْرةَ منه، فلما حَدَث من ابنِ بقيةَ ما حَدَث جعل ابتداءه به ، فبعث إليه الجيشَ، وبعث ابنُ بقية إلى عمران، فأرسل إليه عَسْكراً في السُّفُن مع أخيه أبي المعربان، وجاؤوا إلى واسِط، واقتتل الفريقان، وانتشرت الأمورُ على عضد الدولة من جميع الجوانب، وابنُ بقية مُتَحَصِّن بواسِط مُسْتَظْهِر، فبينا هم على ذلك والأمور قد اختلَّت على عضد الدولة، وخاف أصحابُ الأطرافِ منه لما فعل بابن عمه عز الدولة، وجاءه جوابُ أبيه رُكن الدولة مع ابن العَميد يقول: أنا بعثتُكَ لتُنْجِدَ ابنَ أخي أو لِتَنْزِعَه من المُلْك؟! والله لئن لم تُفْرِج عنه، وتُسَلِّم إليه مُلْكَه، وتَخْرُج من العراق لأَسِيرَنَّ إليك بنفسي، وصاحَ في ابن العميد وشَتَمَه.

ولما جاءت عَضُدَ الدولة هذه الرسالةُ لم يجد بُدّاً من طاعة أبيه، وكان وُرودُ الجواب في شعبان.

وتَرَدَّدَتْ بين عز الدولة وعضد الدولة مُراسلات بأنه يكون نائباً عنه، وأخذَ منه الأهواز، وشَهَّد فيه الشُّهود، وثبت على الحكام، ومضمونه: السَّمْعُ والطَّاعَةُ لعضد الدولة، وأن عز الدولة نائبُه في البلاد، وأنه سامِعٌ مطيعٌ، وأول الكتاب:

هذا كتابٌ لمولانا الملك الجَليل عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين، كتبه له عزُّ الدولة وعُمدة الدولة ابنا معز الدولة، وأشهدا جميعاً على أنفسهما وكلِّ واحد منهما بما يثبت على قاضي القُضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي، والقاضي أبي تمَّام، والحسن بن محمد الهاشمي، والقاضي أبي محمد عبد الله بن مَعْروف وغيرهم، ومَن حَضَر من الأشراف والعلماء والشُّهود والخواصّ والقُوَّاد وغيرهم؛ أن عَضُدَ الدولة استَخْلَفَنا على مدينة السَّلام وواسِط

والبَصْرة، وما يجري مُجراها من أعمال العراق خاصّة دون ما سواها من كُوَر الأهواز، فإنها خارجةٌ عن تدبيرنا، ومُفْرَدَةٌ لمولانا عضد الدولة، وعلى أنّا نَسمَعُ له ونُطيع، ونَنتهي إلى أوامره، من غير عُدولٍ عن ذلك ولا مُخالَفة، وأننا نُطيع مولانا الطَّائعَ لله أمير المؤمنين، ونَحرُسُه حِراسةً تامة، ونَطوي ضَمائرَنا على خُلوصها له، حتى لا يَلْحَقَه نقصٌ في نفسِه وسُلطانِه وأسبابِه، ونُقيم له الدَّعوةَ على منابر الإسلام، ولمولانا عضد الدولة دائماً ما عِشْنا.

ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: والله وتالله وبالله، وذكر الحجَّ والصِّيامَ والعِتاقَ والطَّلاق، والبراءة من محمد سيِّد المرسلين، ومن وَلاء مولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ولَقيتُ اللهَ بدمه وبدم الحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وذكر ما جرت به العادة في الأيمان.

ولما شَهد الشُّهود، وأثبتت النُّسخة على القضاة، وحُملت إليه؛ أطلق عزَّ الدولة وأخوَيْه عُمدة الدولة وأبا طاهر في رمضان، وردَّ على عز الدولة جميعَ ما أَخَذ منه من الخزائن والأموال وغيرها.

وركب عز الدولة، وارتفع ضَجيجُ العوامّ، وأكثروا من الدُّعاء له، وذكروا عضد الدولة بما لا يَليق، وصاحوا عليه من الجانب الغربيِّ بإزاء داره، فنَبا به المقام، فخرج إلى الزَّعْفَرانيَّة لخمسٍ مَضَيْنَ من شَوَّال، وزوَّج ابنَه أبا الفوارس ببنت عز الدولة، ووصل إلى واسط في النِّصف من شوال، فخرج ابنُ بقية عنها، ولمَّا أبعَدَ عضد الدولة رجع إليها.

ذكر ما أخذ عضد الدولة من المُصادرات مُدَّةَ مُقامه ببغداد:

ومَبلغُه خمسة آلاف ألف وتسع مئة وخمسين ألف درهم[1].

وفي ذي القعدة خلع الخليفةُ على عزِّ الدولة خِلَع السَّلْطَنة، وتزوج ابنة عزّ الدولة[2] على صداق مبلَغُه مئة ألف دينار، وكان العَقدُ بحضرة الطائع وعز الدولة، والخاطب القاضي أبو بكر محمد ابن قُرَيْعَة، واسم البنت شاه زنان.

---

(١) في تكملة تاريخ الطبري ٤٤٢: ألف ألف وتسع مئة وخمسين ألف درهم.

(٢) في (ب خ): وتزوج أبا الفوارس ابنة عز الدولة، والمثبت من تكملة الطبري ٤٤٩، والمنتظم ١٤/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٥.

وفي ليلة يوم الاثنين لتسعٍ بقين من ذي القعدة طلع كوكبُ الذُّؤابة من ناحية المشرق، وذؤابته مقدار رُمحين، ولم يزل يطلع إلى عشر بقين من ذي الحجة.

وفي سَلْخ ذي القعدة صُرف أبو الحسن محمد بن صالح عن قضاء القُضاة، وتقلَّده أبو محمد عُبيد الله بن مَعروف، وخُلع عليه من دار الخلافة، وركب ابن بقية إلى داره.

وفيها في ذي الحجة قُبض على أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابئ بعد أن أُعطي الأمان، وظهر من الاستتار، وطالت مُدَّتُه في النَّكْبَة والحبس، ثم أُفرج عنه، ولولا عز الدولة لتَلفَ، وسبب نكبته الكتاب الذي كتبه للطائع، وقد ذكرناه.

وفيها خُلع على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسَوي، وقُلِّد نقابةَ الطالبيين.

وفي آخر ذي الحجة دخل عضد الدولة إلى داره بشيراز.

ولم يحج بالناس أحدٌ من العراق من قِبَل السلطان، وخرج جماعةٌ من أهل خُراسان فلَقُوا شدَّةً ورجعوا، وحجَّ أهل مصر، وأقيمت الخطبة للمعزّ متولّي مصر وحده[1].

[فصل:] وفيها توفي

سُبُكْتكين

حاجبُ معزِّ الدولة ومولاه.

[وقد ذكرنا أخباره، وعصيانه على عز الدولة، وأن الطائع طوَّقه وسَوَّره، ولقَّبه نصر الدولة.

وكان قد] ركب يوماً، فوقع من على الفرس، فانكسر ضِلعُه، فاستدعى المُجَبِّر فردَّ ضلعَه على ما كان عليه، [وأدخلوه الحمَّام فأعطى المجبِّرَ] ألفَ دينار وخِلعةً وفرساً.

وكانت داره بالمُخَرَّم ولم يكن بالعراق مثلُها، يقال: إنه غَرِم على بنائها خمسة آلاف ألف درهم، وكانت عند الزَّاهر، وقد دَثَرت فلا عينٌ ولا أثر.

(١) من قوله: وفيها سار عضد الدولة من فارس... إلى هنا ليس في (ف م م١).

ذكر وفاته:

قد ذكرنا أنه خرج مع الطائع لقتال عز الدولة في هذه السنة، فنزلا[١] بدير العاقول، فمرض، ولحقه ذَرَبٌ عظيم، فتوفي يوم الثلاثاء لسبع بقينَ من المحرَّم، فكانت مدَّةُ إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً، وحُمل تابوته إلى بغداد، فدُفن في تربة ابنته بالمُخَرَّم.

[قال ابن الصَّابئ:] وخلَّفَ غير ما كان مُودَعاً عند أبي بكر الأصفهاني البَزَّاز صاحبِه ألفَ ألف دينار مُطِيعيَّة، وعشرة آلاف ألف درهم ورقاً، وستّين صُندوقاً منها صندوقان فيهما جواهر والباقيات مملوءات آنية ذهب وفضة، ومئة وثلاثين مركباً ذهباً، وزن كلِّ مَرْكب ألف مثقال، وست مئة مركب فضة، وأربعة آلاف ثوب ديباجاً، وعشرة آلاف ثوب دبيقياً وغير ذلك، وثلاث مئة غلام، وأربعين خادماً، وثلاثة آلاف فرس وجمل وبغل، وثلاث مئة حِمل قماش.

[وقال الخطيب:] كان يسكن دار السَّلْطَنة التي عند الزَّاهر، وجاء عضد الدولة فزاد فيها، وكلُّ مَن جاء بعده زاد فيها[٢].

[قلت:] بقيت إلى زمن أبي العباس أحمد الناصر لدين الله فأخربها[، وسنذكرها هناك إن شاء الله تعالى.

فصل: وفيها توفي]

المُطيع لله

واسمه الفضل بن جعفر المقتدر، وكنيته أبو القاسم.

خلع نفسَه طائعاً لا مُكْرَهاً، وفوَّض الأمر إلى ولده عبد الكريم الطائع، وكانت ولايته إلى حين خَلَع نفسه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأحد عشر يوماً.

وأقام يتعبَّد في داره ـ وكان قد أسنَّ ـ واحتجب عن الناس شُغلاً بمرضه[، وكان يُسمَّى بعد خلعه الشيخ الصالح أو الفاضل].

---

(١) في (ب خ): وقد دثرت وقد ذكرنا عصيانه على عز الدولة وخروجه مع الطائع لقتاله فنزلا، والمثبت من (ف م م١) وما سلف بين معكوفين منها.

(٢) انظر تكملة الطبري ٤٣٤-٤٣٥، والمنتظم ١٤/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٢٨.

وكان عاقلاً، سَمْحاً، قنوعاً من الدنيا، سالماً مما كان فيه غيره من طلب الدنيا.

وكان الطائع قد خرج إلى واسِط وحمله معه، فنزل دير العاقول، فاشتدَّ مرضُه، ومات في المحرَّم قبل سبكتكين بيوم واحد، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة [لأنه ولد في سنة إحدى وثلاث مئة]، وحمُل إلى بغداد فدُفن بتربة جدَّته أم المقتدر بالرُّصافَة.

وكانت وفاتُه ليلة الاثنين لثمانٍ بقينَ من المحرَّم، وصلَّى عليه أبو محمد عبيد الله بن مَعْروف القاضي.

وكان له من الولد ثلاثة: عبد الكريم الطَّائع، وعبد العزيز، وجعفر.

وقضى له أبو السَّائب عُتبة بن عُبيد الله الهَمَذاني، وأبو القاسم بن أبي الشَّوارب، وعبيد الله بن مَعروف، وأحمد ابن أم شَيبان على الجانب الشرقي، ولم يكن له وزير، كان الوزراء لبني بُوَيه.

وقد أسند المطيع الحديث، وقال أبو الفضل بن عبد العزيز الهاشمي [(١)]: سمعتُ المطيع يقول وقد أحدَقَ به خلقٌ كثير من الحنابلة حُزروا ثلاثين ألفاً فقال: سمعتُ شيخي ابنَ مَنيع يقول: سمعتُ أحمد بن حنبل[(٢)] يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذَلَّ[(٣)].

محمد بن بدر

أبو بكر الحَمامي.

كان والده بدر مولى أحمد بن طولون، وكان يُسمَّى بدراً الكبير، ويُعرف بالحَمامي، كان أميراً على فارس وتلك النَّواحي، وكان حسنَ السّيرة، فتوفيّ وقام ولده محمد في تلك الناحية مقامه، وأطاعه القُوَّاد والناس.

قدم بغداد وحدَّث بها، قال أبو نُعَيم: وكان ثقةً، ومات ببغداد، وقال الخطيب: كان يتشيَّع، ولم يكن من أهل هذا الشأن، يعني الحديث[(٤)].

---

(١) في تكملة الطبري ٤٣٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣١: أبو الفضل التميمي. وهو عبد الواحد بن عبد العزيز، ترجمه الخطيب في تاريخه ١٢/ ٢٦٥وليس في نسبه أنه هاشمي.

(٢) في (ف م م١): وقد أسند المطيع الحديث وروينا عنه أثراً يقول سمعت أحمد بن حنبل. والمثبت من (ب خ).

(٣) بعدها في (ف م م١): انتهت ترجمة المطيع والله أعلم، السنة الخامسة والستون وثلاث مئة.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٤٦٨، والمنتظم ١٤/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٢.